الاثنينية

٥

حفل تكريم

الأستاذ محمد حسن زيدان

في ١٤٠٣/٠٥/١٥ هـ

١٩٨٣/٠٢/٢٨ م

الأستاذ محمد حسين زيدان

المحتوى

١ - لمحات من حياة المحتفى به.

٢ - كلمة المحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه.

٣ - كلمة المحتفى به الأستاذ محمد حسين زيدان.

٤ - قصيدة للشيخ أبي تراب الظاهري.

٥ - حوار المحتفى به مع جمهور الحاضرين وذكرياته مع أقطاب الأدب والثقافة المصريين.

٦ - مقطوعات شعرية من نظم وإلقاء الشاعر الكبير عمر أبي ريشة وهي خاتمة الأمسية.

●●●

لمحات مِن حَيَاة المحتفَى به

((الأستاذ محمد حسين زيدان))

- ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٧هـ.
- تخرج من المدرسة الراقية الهاشمية عام ١٣٤٤هـ.
- بدأ حياته العملية معلماً بمدرسة دار الأيتام بالمدينة المنورة.
- في عام ١٣٥٨هـ عين رئيساً لكتاب رئاسة مشايخ الجلوة بمكة المكرمة.
- انتقل بعد ذلك إلى وزارة المالية وشغل عدة وظائف منها وظيفة مدير إدارة الخزينة العامة.
- ثم تفرغ للأدب والاطلاع فاستفاد وأفاد ونفع بعلمه الكثير من أبناء الوطن.
- له عدة مؤلفات مطبوعة، منها:

(أ) ثمرات قلم.

(ب) خواطر مجنحة.

(ج) كلمة ونصف.

(د) سيرة بطل.

•••

وقائع من حفل التكريم

((كلمة المحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه))

افتتح الأمسية سيادة الأستاذ عبد المقصود خوجه بكلمة رقيقه، عبر فيها عن امتنانه لتلبية ضيفه دعوته، وفرحه بمشاركة الحاضرين له في الاحتفاء بالأستاذ محمد حسين زيدان قال فيها:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. أحييكم تحية طيبة مباركة، وأرحب بكم جميعاً أكرم وأجمل ترحيب، ضيف الشرف هذه الأمسية علاّمتنا الجليل، وشيخنا الكبير محمد حسين زيدان. الأستاذ محمد حسين زيدان مما لا شك فيه ظاهرة نادرة فريدة من نوعها، فهو المؤرخ والكاتب والأديب والراوية والخطيب البليغ وصاحب الحديث والحوار الممتع الشيق.

- كما أنه مما لا شك فيه أن الأستاذ زيدان قد أثرى تاريخنا العلمي بالعديد من مؤلفاته وبالكثير الكثير مما كتبه في الصحف والمجلات، وبأحاديثه في الإذاعة، وبما شاهدناه له من برامج ممتعة في التلفاز، وبما استمتعنا به من خطبه البليغة وبما متعنا به في مجالسه من أحاديث وحوار.

- الأستاذ زيدان صاحب مدرسة لها الكثير من التلاميذ والمريدين، أشكر له تفضله بقبول الاحتفاء به، كما أشكر لكم جميعكم المشاركة في هذا الاحتفاء.

- في الواقع لا أود أن أطيل لأن علاّمة كالأستاذ الزيدان غني عن التعريف وغني عن كلمات كهذه، فهو جبل شامخ من در ولؤلؤ، يرتكز على ركائز العلم وجواهره وروافده.

- أتمنى لكم أمسية طيبة مع الأستاذ الزيدان الذي سيتفضل ويحدثنا عن حياته وذكرياته، وأحب أن أنقل عبر الميكرفون لكم بشرى احتفائنا الاثنين القادم بالشاعر المبدع معالي الأستاذ الكبير حسين عرب الذي يسعدني أن تكونوا جميعاً مشاركين في الاحتفاء به، ولكم مني أطيب التمنيات. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

((كلمة المحتفى به محمد حسين زيدان))

ثم تحدث الأستاذ محمد حسين زيدان، وهو ضيف الأمسية، عن سيرته الذاتية وذكرياته القديمة في المدينة ومكة وجدة، فقال:

- بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين.

- إخواني جميعاً، أهلي وعشيرتي، لا أدري بماذا أبدأ، ولكن التقليد يحتم علي البدء بالشكر لله، فصانع الجميل شاكره، وشاكر الجميل صانعه، لأنه لا تجد باخلاً بالشكر إلا وهو الباخل على نفسه بصنع الشكر، ولا تجد باخلاً بالجميل إلا وهو أكثر بخلاً بالشكر، لهذا أشكر الابن عبد المقصود على هذا الاحتفاء الذي أشعر فيه بفرحة كبرى، لأنه تقدير وتكريم، وأحذف من نفسي الترحة، لأني لا أحب أن يكون هذا التكريم، وداعاً. الشكر للمحتفي بي لا يكفيني، فأنتم الذين حضرتم كلكم قد احتفل بي، كلكم قد أكرمني، إنما هو الداعي له فضل الدعوة، ولكن فضل التلبية عندي أكبر، لأنه سعي إلى صنع الجميل يلزمني بأن أشكر هذا الصنيع لكم، أحمده لكم حمداً كثيراً. يعجزني أن أقول لا حينما طلب مني أن ألقي الكلمة، ويسعدني أن قلت الكلمة الشاكرة له ولكم، فماذا تريدون مني إلا أنني أمامكم عجوز قد احتفلت بالقراءة؟

- أتعرفون أول من علمني القراءة؟ لقد علمني سوق (الحراج) وجريدة "ألف - باء"، كنت لا أقرأ الصحف، لأن الصحف لا تأتينا. قبل "العهد السعودي"، كنا نفتش في الحراج لنجد بعض الكتب التي يعرضها أصحابها للبيع نتيجة الفقر والعوز والجوع الذي ألم بهم فيبيعونها بمبالغ زهيدة لا تتجاوز قيمة الواحد القرش أو القرشين، فأنقب عن كتاب ينفعني، فأشتريه وأقرؤه، ومن هنا تعلمت القراءة من هذا السوق، ثم تعلمت القراءة في مكتبة كنت أبيت فيها لمدة لا تقل عن سنتين، فيها أمهات الكتب وكنت أقرؤها.

- لكن السؤال المهم: كيف تعلقت بالصحف والمجلات؟ السبب يرجع إلى جريدة "ألف - باء"، أريد أن تضحكوا من هذين البيتين لشاعر من العراق، لكنه ليس الزهادي ولا الرصافي، يقول الشاعر:

أنـــت عـــندي بمـــنزل لم يـــنله غـــير ســـلمى وابـــنها إســـحاق
أنـــا مخـــرنبق وغـــير عجـــول ولقـــد طـــال في الهـــوى اخرنباقـــي

فاخرنبقت مع نفسي، وكلمة اخرنبقت جعلتني أفتش وأقرأ.

ويعلق الشاعر أبو ريشة بقوله:

واخـــرنبقوا دهـــراً يـــريدون الـــتي طـــاروا بهـــا مـــن بعـــد اخرنباقـــي

فاخرنبق معناها سعى وتحفز.

ثم يوالي الأستاذ محمد حسين زيدان ذكرياته، لكنه قبل أن يبدأ الحديث يفاجأ بدخول الأستاذ ضياء فيقول:

- وما دام الأستاذ عزيز وصل ، فأنا أؤكد لكم بأنه قرأ قبل أن أقرأ، فأنا قرأت بعض كتب التراث، لكنه قرأ كتب الميراث. فأنا "مخرنبق" وغير عجول، فكلمة (اخرنبق) هي التي دفعتني إلى القراءة وصنعت مني أديباً وكاتباً وقارئاً وخطيباً.

- ولقد زاملني الأستاذ عزيز ضياء في المدرسة، فلا تصدقوا ادعاءه بأنني أكبر منه سناً، فهو يزعم أنني كنت عجوزاً حينما كان ولداً صغيراً.

- وفي المدرسة أذكر حادثة أفخر بها، حيث جمع الأستاذ أحمد صقر الصفين الأكبر الذي من طلبته عبد الحميد عنبر والنقشبندي، عثمان حافظ وأحمد العربي. فسألهم عن كلمة تفاوت هل هي اسم أم فعل؟ فقالوا: إنها فعل، غروراً بالتاء في أول الكلمة، فرفعت إصبعي دلالة – كما تعلمون – للاعتراض على إجاباتهم فقلت: إن هذه الكلمة اسم. قال الله تعالى: ﴿هل ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ فقد سبقها حرف جر، ولا يسبق حرف الجر إلا الاسم، كما لحقها التنوين في آخرها والتنوين لا يدخل إلا على الاسم النكرة، وهنا بادر الأستاذ أحمد صقر بمنحي درجة الامتياز وأثبتها في كراسته.

- في اليوم الثاني، جمع الأستاذ أحمد صقر الصفين، فإذا هو يقرأ في وفاء الوفاء عن تاريخ المدينة، فإذا فيه خبر أن الشمس كسفت في اليوم السادس عشر من الشهر، فسكت جميع الطلبة إيماناً منهم بصحة الخبر، فاعترضت على ذلك وقلت: إن هذا خطأ فقال: الأستاذ صقر: هل أخطأ المؤلف السمهودي؟ فقلت: لم يخطئ المؤلف، ولكن المطبعة قد تكون المخطئة، لأن الشمس لا تنكسف إلا إذا كان القمر في المحاق أي في نهاية الشهر، فأعجب المدير بإجابتي ومنحني أيضاً درجة الامتياز.

- ثم سأل سؤالاً آخر بقوله: "النهر ماء عذب يجري منحدراً".. ما معنى كلمة عذب؟

- فأجاب أحد الطلاب بأنه الماء الذي يجري كذا وكذا وكذا.. فرفعت إصبعي وأجبت أن معنى كلمة عذب هو: حلو، فمنحني أيضاً درجة الامتياز. وفي نهاية الأسبوع اجتمع الصفان الكبيران مع صفنا، فسألهم الأستاذ: هل كلمة كرسي ممنوعة من الصرف؟ فتصور الإخوان أن الكرسي لا يجلس عليه إلا رجل أعجمي! فهو أيضاً أعجمي، لأن الكرسي لم يكن مستعملاً بين سكان المدينة، فأجابوا جميعهم بأنه أعجمي ممنوع من الصرف، فرفعت إصبعي هنا، وقلت: لقد ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾، فهي كلمة قرآنية، فأخذت أيضاً درجة الامتياز، وهكذا حصلت على أربع درجات ممتازة خلال أسبوع واحد.

ويختتم الأستاذ زيدان كلمته، بقوله:

- أظن أن الرحلة طويلة ولا أرغب أن أطيل عليكم، فاسمحوا لي أن أقول لكم السلام عليكم وفي أمان الله.

يعترض الجميع على قرار الأستاذ الزيدان إنهاء حديثه ويطالبونه بالاستمرار، ويجيب الأستاذ الزيدان بقوله:

- سأستأنف الحديث بعد أن نستمع إلى أبي تراب الظاهري الذي أعد قصيدة بهذه المناسبة وسنحتاج إلى وقت طويل في الرجوع إلى المعاجم اللغوية لحل كلماتها.

((قصيدة الشيخ أبي تراب الظاهري))

ثم يلقي الشيخ أبو تراب الظاهري قصيدته، لكنه قبل أن يلقي القصيدة ألقى الكلمة التالية:

- الحمد لولي الحمد، والصلاة والسلام على رسوله المجتبى، أما بعد:

- ما أكثر مبادآت سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابتداعاته، فهو أول من سن سنة التكريم. ذكر الحافظ الذهبي في سير النبلاء في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي، وشيخنا الزيدان يعرف من هم بنو سهم، فعبد الله بن حذافة صحابي جليل شهد وقعة القيسارية التي وقع فيها ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ أسرى في يد ملك الروم وكان سيدهم عبد الله بن حذافة، طلبه ملك الروم وأراد أن ينصره وينصر أصحابه، وكانت عنده بقرة من النحاس يغلي فيها الماء، أخذ واحداً من الأسرى وألقاه في الماء المغلي. فإذا عظامه تلوح ابيضاضاً، أراد أن يشعره أن مصيره إن لم يتنصر سيكون هكذا.

- فقال له ملك الروم عندئذ: أما رأيت ما فعلت، فأجابه عبد الله: نعم رأيت. فقال له ملك الروم: إن مصيرك ينتظرك. فقال: ويحك يا رومي، إن هذه نفس واحدة، وأنا أتمنى أن تكون لي بعدد شعر رأسي أنفس فأموت وأحيا ثم أموت فأحيا، فقال ملك الروم: ما أشد صلابة صحابة هذا الرسول، فسأله: وما النهاية؟ فقال له عبد الله: أريد فكاك أصحابي، فما وسع النصراني إلا أن يلجئه إلى إشباع شيء من الغرور في نفسه، فقال له: هل تقبّل رأسي لأطلق لك سراح أصحابك؟ فأجابه الصحابي الجليل بالإيجاب، وقبله بالفعل وفك الأسارى. وعندما وصل المدينة حكى القصة لعمر بن الخطاب، فصاح عمر - رضي الله عنه - بعد أن سمعها قائلاً: آن لعمر أن يقبل رأس ابن حذافة، رجل هذا موقفه يحق له أن يكرم بهذا، فقام عمر وقبل رأس ابن حذافة وقام الجميع كلهم وقبلوه أيضاً تكريماً له.

- وهذه أول سنة سنها عمر في تكريم عبد الله بن حذافة. الموقف هنا ليس موقف مقارنة، وإنما أنا جد خجل ليلة تكريم معالي الشيخ عبد الله بلخير، لم أتمكن من الحضور للمشاركة في الاحتفاء بمعاليه، لأنني كنت منشغلاً بحادث السير الذي وقع لابني، وكنت قد صنعت بعض الأبيات التي أداعب

فيها المشاعر، ألقيها اليوم أولاً، ثم ألقي الأبيات التي أعددتها لهذه المناسبة وهي تكريم الأستاذ محمد حسين زيدان.

- فقلت:

يـــا أبـــا الخـــير أنـــت للخـــير زخـــه بعـــد أن كـــنت للإذاعـــة ضـــخه
كـــان مـــن رام مـــرتقاك كلـــيلاً رامـــلاً ســـعيه يحـــاذر فخـــه
أنـــت فيـــنا الأديـــب دون مـــراء بحتـــري كأنـــه مـــنه نســـخه
يـــا إمـــام الكـــلام لســـت أداجـــي فبحســـبي وقـــد كفـــاني خـــوخه
أنـــت في الـــنظم والنـــثير كطـــود كـــيف للســـفح أن يـــداني شمخـــه
إن تكـــريم ماجـــد مـــن كـــريم لهـــو في وجـــده ينشـــابه مخـــه
وإذا كـــرم الكـــريم كـــريماً كـــان مقصـــوده هـــنالك شـــيخه

- أما الأبيات التي قلتها عصارى هذا اليوم، فقلت في أستاذنا:

أيهـــا الحـــبر يـــا محـــب علـــوم لـــيس للفـــدم غـــير تقـــريض شخصـــك
لا مثـــناك في اسمـــك الـــيوم زيـــداناً ســـوى مفلـــق خطـــيب بنقصـــك
أنـــت في رســـلك المـــبين إمـــام يمتـــري ضـــرعه الألى دون غوصـــك
يـــا إمـــام البـــيان لســـت تجـــارى تنحـــت اللفظ وهو مـــن بـــعض قـــنصك
إن يكـــن قـــادني القـــريض بحـــرف لابـــن مقصـــوده فـــذاك لحرصـــك
أنـــت أنطـــيت مـــا بخلـــت ســـجالاً مـــن غوالـــيك ضـــدها دون رقصـــك
لـــيس معـــناه أن تغلـــى دلاســـاً إنمـــا نحـــن قـــد نســـوى لعكصـــك

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

((الحوار بين الجمهور والمحتفى به))

يطالب الجمهور الذي حضر تلك الأمسية الأستاذ محمد حسين الزيدان بأن يعود إلى سرد ذكرياته، كما وعد بذلك، لكن الأستاذ زيدان يوضح لهم أن الحوار قد يكون أجدى نفعاً، وعلى ضوء ذلك تقدم السيد علي العمير بسؤال للأستاذ زيدان قال فيه:

- ما مدى تأثرك بالرافعي من حيث الأسلوب؟ ومتى بدأ ذلك؟

فيجيب المحتفى به على السؤال بقوله:

- إذا كان التأثر تقليداً فأنا أرفضه، وإن كان التأثر إمعاناً في فهم ما يكتبه الرافعي أو غيره وأنا قارئ بالأذن أكثر من أني قارئ بالعين، فأنا أعبأ بالجرس والرنين والرافعي صاحب جرس ورنين.

- إذا أردت أن تقرأ الرافعي فاقرأه بالأذن، أو كما قال أمين الريحاني، إذا أردت أن تقرأ فلا تقرأ واقفاً، فإن قراءة المار السريع لا تجدي.

- فالرافعي كنا لا نفهمه في المساكين، ولا نفهمه في أشياء أخرى، ولكنه عندما رق وكتب في الرسالة وغرقنا في الغزل وقرأنا أوراق الورد والسحاب الأحمر، يظهر أن الحب الذي كنا فيه أغرانا بأن نفهم الرافعي أكثر فأكثر. لا تنكروا كلمة الحب، فقد سأل أستاذ أحد أبنائي بل أصغر أبنائي في مدرسة الثغر، قال له: أتعرف الحب؟ قال: نعم أعرف الحب.

- فقال الأستاذ: أليس عيباً أن تعرف الحب؟ فأجابه ابني: ليس عيباً أن أحب الله، وأحب أبي وأمي وبلدي وأهلي، وأنا من تربةٍ غزلة. قال رسول الله ﷺ: زفوا بنات الأنصار، فإن الأنصار أهل غزل. وأنا أتحدى أي رجل من هذه الأرض أن يقول: إني ما أحببت.

وهنا يتدخل معالي الشيخ عبد الله بلخير قائلاً:

- لا داعي للتحدي.

ثم يعاود الأستاذ الزيدان الحديث، قائلاً:

- فالحب جعلنا نقرأ الشعر غزلاً لا هجاء، وأحياناً يلتمس الإنسان بعض التنفج، فيقرأ الفخر، ثم استغرقنا في القراءة فإذا بنا نقرأ الكثير الكثير.

- هناك ظاهرة أحب أن أقولها وهي أن الأديب متطور دائماً، لا متغير، حتى الذي تشعر أنه تغيير إنما هو بدافع التطور والاستزادة، فالدكتور طه حسين عندما كان أزهرياً وحمل على الأزهر سخره عبد العزيز جاويش، وكان يتلقّى من صادق عنبر، وهو إمام في اللغة بعض الملاحظات على المنفلوطي وكتب وكان هذا طوراً من طه حسين.

- ولكن عندما ذهب إلى فرنسا أخذ طوراً جديداً بالتراث الغربي، لكنه عندما عاد إلى وطنه وقرأ تراث بلده وأرضه بدأ طور جديد لطه حسين، فإذا بطه حسين ذلك الشخص الذي قد كمل. وكذلك العقاد.

- العقاد عندما كان يحمل على شوقي كان يريد أن يظهر وهذا طور، وطور آخر مع الوفد، فقد كان لسان حزب الوفد، مما جعله يبعد عن كثير من أساطين مصر وعلمائها مثل عبد العزيز باشا فهمي، وعبد الحميد بدوي، لكن عندما تطور، وكملت قراءته عرف معنى العلم في العلماء.

- قرأت له أنه يقول: إن من سوء حظه أنه لم يلتق من قبل بعبد العزيز باشا فهمي لأنه رجل عالم، وعندما قدم عبد الحميد بدوي باشا إلى المجمع قال كلمة فخر بها وأعطى عبد الحميد بدوي باشا حقه. وفي الكلمة التي ألقاها الدكتور طه حسين والتي قدم فيها عبد الحميد بدوي باشا، قال بأنه قد نالته بركة المدينة، لأنه بدأ تعلمه في المدينة وهذا صحيح.

- فعندما تم إنشاء السكة الحديدية التي تربط بين المدينة ودمشق وصل إلى المدينة محمد بدوي والد عبد الحميد بدوي باشا وسكن المدينة في الساحة في دار جونة، وكان ذلك المنزل ملكاً لآل مظلوم باشا، وكان الناظر عليه السيد أحمد صقر وأجر، فشكلت فيه مدرسة دار المعلمين، لأن الأتراك عندما أغرموا بالتتريك فتحوا في المدينة ثماني عشرة مدرسة ابتدائية.

- وكمل الاتحاديون ما صنع السلطان عبد الحميد في المدرسة المتوسطة، وفتحوا دار المعلمين. من أغرب ما في ذلك هو أن السيد أحمد صقر أستاذنا ومدير المدرسة، كان تلميذاً في هذه المدرسة، وعبد الحميد بدوي باشا تلميذ أيضاً، ومن هنا نالته بركة المدينة.

- أما الأستاذ العقاد فماذا قال؟ قال: لقد قيل لي إن كتاباً في الفلك قد وصل إلى مصر، فذهبت إلى مكتبة الإنجلو لأقرأه، فقيل لي: سبقك إليه عبد الحميد بدوي، فاعجبوا لقارئ يسبق العقاد إلى كتاب! وهكذا أثنى العقاد على عبد الحميد وعلى نفسه.

- هذه الذكريات أعني بها أن الأديب يتطور ولا يتغير، فالتغيير نكول، أما التطور فازدياد، ولكن عندما يفلس الأديب من الاستزادة والتطور يصبح إما أن يتسافه على الناس، وإما أن يسرق مال الناس. وأعتقد أن الدكتور عبد الله مناع يفهم ما أعني، فالمعنى في بطن الشاعر.

وهنا يطلب الدكتور عبد الله الغذامي من المحتفى به أن يحدث الحاضرين عن لقائه مع أحمد أمين وهيكل، ويجيب الأستاذ الزيدان على ذلك بقوله:

- ذكرياتي عن أحمد أمين وهيكل تعود إلى ١٣٥٥ هجرية عندما زار وفد الجامعة المصرية، ووفد الأزهر المدينة المنورة بعد إتمامهم فريضة الحج، ولم أكن في ذلك الوقت أستاذاً بالمدرسة الحكومية وإنما كنت أستاذاً بدار الأيتام، وكنت بارزاً. لاحظت بالصدفة بعض السيارات واقفة أمام مبنى المدرسة، فدخلت بدافع حب الاستطلاع أو سموه الفضول إن شئتم، فوجدت صديقي محمد سالم الحجيلي وهو من النابغين، وكان مديراً للمعارف في مكة يستقبلهم.

- ولما وقفت أمامهم بدأت حديثي بقولي: السلام عليكم.. أيكم أحمد أمين؟ لأني قرأت ضحى الإسلام وقرأت فجر الإسلام. كان في صدر المجلس أمامه القبة الخضراء في صالون المدرسة، فقال: أنا أحمد أمين، فسلمت عليه وجلست.

- بدأ الحفل الخطابي، لم يعط الخطباء الضيوف ما يستحقون من الثناء والتقدير على جهودهم العلمية، وإنما طرقوا أموراً جانبية، ومن أولئك أستاذنا ضياء الدين رجب، قال في خطبته: إن أحداً يحييكم، والوادي يحييكم كلاماً من هذا القبيل. وعلى هذا المنوال ألقى الأخ سالم داغستاني كلمته، ولكن إيماني بقدر الجامعة والأزهر جعلني أقف لأتحدث، لأن تكريم الجامعة في نظري يجب أن يكون بأسلوب غير ما سمعت، قلت بهذه الألفاظ:

- إنها حفله مرتجلة، فلا أقل من أن أقول كلمة مرتجلة، وإن كان الارتجال يضيق بفحول الرجال، ولست من الفحول، وإنما أنا الآن في هذه الساعة سأكون الفحل بينكم، لأني قد تعلمت منكم، وقرأت لكم و.. و.. إلى آخر الحديث، فبكم أستزيد، وقالوا: إن الجامعة تؤم لندن وباريس والأزهر يؤم مكة، فإذا مصر الكنانة أبت إلا أن تكون الجامعة والأزهر في إطار واحد يحجون إلى مكة ويزورون المدينة، تلك كنانة الله.

- وقالوا: إن جمال الدين الأفغاني هو نهضة الشرق، فأين كانت نهضته؟ كانت أول نهضته وأبرزها وأكملها في القاهرة في كنانة الله في أرضه، فقام أحمد أمين - رحمة الله عليه - وأمامه القبة الخضراء، فقال: الارتجال يضيق بفحول الرجال نعم كما قال الأستاذ، وفي تلك اللحظة حصلت على درجة أستاذ، لقد قال كلمة ما أحبها إلي وما أحبها إلا أن تكون بين المسلمين جميعاً، وبين العرب جميعاً، قال: لا أقول كلمة وأنا أنظر إلى القبة الخضراء، إلا أن أقول رداً على قولك: - إنكم تعلمتم منا - من علمنا القرآن؟ من هدانا إلى الإسلام إلا أنتم، إلا بلدكم هذا، وثقوا أني لا أريد لبلد أن يكون أحسن من بلدي، وأعز من بلدي إلا بلدكم هذا.

ثم قام بعد ذلك المجذوب عبد الوهاب عزام الذي أحرجني وأخرجني من المدينة بكلمته التالية التي قال فيها:

- لقد كنت من أوائل المتفائلين بالعالم الإسلامي، ولكن الآن في هذه اللحظة من أوائل المتشائمين لماذا؟ لأن الإسلام لا يعمر ومكة والمدينة خربتان وجلس!

- ثم رافقتهم في زيارتهم لبعض الأماكن التاريخية للعظة والاعتبار حتى بلغنا مدفن (شهداء أحد)، فقام الأستاذ عبد الحميد العبادي وألقى ما في السيرة من نص، ولكنه قال: أهل مكة أدرى بشعابها ثم طلب مني أن أخبرهم عن موقعة أحد، وأبين لهم موقع الرسول ﷺ، وموقع الرماة، وأين دارت المعركة، فأوضحت لهم ذلك بالقول والعمل، فقال الأستاذ أحمد أمين: لقد أصبحت أستاذاً لجامعيين، فقلت له: ولكن بدون درجة الدكتوراة فقال: سوف أمنحك ما هو أفضل من الدكتوراة، إن كتاب "منزل الوحي" مسنوع لديكم الآن، وقد أهداني المؤلف الدكتور حسين هيكل نسخة منه، وسأهديها لك.

وعلى ضوء ذكر منع كتاب "منزل الوحي"، سأل الأستاذ عزيز ضياء المحتفى به قائلاً:

- أتقول إن كتاب "منزل الوحي" ممنوع؟ فيرد الأستاذ الزيدان بالإيجاب. ويستغرب الأستاذ عزيز لذلك، غير أن الأستاذ الزيدان يبين له وللحاضرين جميعاً أن الكتاب منع في بداية الأمر، ثم سمح بتداوله بعد أن تدخل فؤاد حمزة وتوسط لدى الملك فيصل حين كان نائباً للملك عبد العزيز بالحجاز.

ويطالب الجميع الزيدان بسرد ذكرياته مع الدكتور هيكل، فيستجيب الأستاذ الزيدان ويقول:

- عندما جاء هيكل إلى المدينة كنت أول من قام بزيارته يرافقني الدكتور سعيد مصطفى في مقر سكناه في بيت الخريجي، وبمجرد جلوسنا أمامه سأله الدكتور سعيد مصطفى قائلاً: ما بال الوفديين يبكون على الدستور الأعرج؟ فما رأيت مصرياً تأدب مع بلده وقال كلمة الأدب مثل الدكتور هيكل فقال: زرعنا فأكلوا ويزرعون فنأكل.

- ثم قص علينا قصة من المجمع. فقال: عندما عمل "مجمع فؤاد"- وهو مجمـع اللغـة العربية الآن - دعي إليه مستشرقون كثيرون منهم الأستاذ (فيشر) الألماني، ودعي إليه خريجو دار العلوم، والأزهريون ولم يدع أحد من الجامعيين أمثال الدكتور طه حسين، والدكتور هيكل، ولا عبد العزيز فهمي وغيرهم.

- فعندما وضعوا المراجع قرأوا المراجع كلها المعروفة لديهم، وبعد الانتهاء سألهم المستشرق الألماني (فيشر) قائلاً: ألم تنسوا مرجعاً من المراجع؟ فقالوا: لم ننس قط، وقد تضايق الأزهريون من سؤاله واعتبروه بمثابة طعن في جهدهم، فقال لهم: إن المرجع الرئيسي وهو المرجع الأهم هو القرآن، فأسقط في يد الأزهريين وخريجي دار العلوم.

من الذكريات الجميلة التي يجدر ذكرها هنا أننا أقمنا للدكتور هيكل حفلة تكريم، قدمنا له فيها فاكهة البرتقال في زمن كنا نقتسم البرتقالة شرائح، ليأخذ كل واحد شريحة، وقد ألقى فيها الأستاذ علي الجارم قصيدة، وألقى ضياء الدين رجب قصيدة، أما أنا فألقيت كلمة قلت فيها للدكتور هيكل:

- لقد كنا نعجب بك، ونحترمك لكنا كنا لا نحبك، لأنك كنت تدعو إلى الفرعونية، وإلى المصرية البحتة تبعاً لما كان يدعو إليه أستاذك لطفي السيد، ثم أحببناك بعد ذلك حين أنصفت اللغة العربية من الدكتور طه. وعندما ترجمت "لدرمنجام" كتابه "حياة محمد" ونشرته في السياسة ثم ألفت حياة محمد، فإذا نحن نحترم ونعجب ونحب، فقام الدكتور هيكل وقال: لقد صدق الأستاذ، فقد ذهبنا

إلى الغرب وإلى فرنسا فرانت على أفئدتنا ثقافة الغرب فقلنا ما قلنا، وذهبنا إلى ما ذهبنا إليه، ولكن عندما رجعنا إلى ترابنا جاءت ريح سافية أزاحت تلك الرمال، وبقيت قلوبنا الحجر الصلب مكانها حيثما عدنا إلى تراثنا، وقد نشر هذا الخطاب في جريدة البلاغ.

ثم يطلب بعض الحاضرين من الأستاذ الزيدان أن يتحدث عن ذكرياته عن الشام، فيقول:

- أما ذكرياتي عن الشام وأرجو ألا يلومني الشاميون، فقد كنت "ولد حارة"، فلما جاء الأستاذ كامل القصاب، وكنت في ذلك الوقت وثيق الصلة بالسيد عبد القادر شلبي، لأنني كنت أعمل خادماً في منزله لأتعلم وأنام في المكتبة، وكان عبد القادر طرابلسياً من لبنان. والأستاذ كامل القصاب من دمشق - وكان مدير المعارف - فرد عبد القادر شلبي إلى عمادة المعارف، فرآني الشيخ كامل القصاب بلباسي البلدي، فأمسكني من أذني وقال: ما هذا العمل الصبياني يا زيدان. أنت في جسمك رجل، أطلق هذا الحزام، فخلعت الحزام ولبست العقال منذ ذلك اليوم. وهذا هو الفضل الأول للشام علي.

- أما الفضل الثاني، فهو للشيخ محمود الحمصي زميل الشيخ علي الطنطاوي، وهو أستاذنا درسنا عليه الجبر واللوغريتمات ونذكر هذا فخراً بهم، وليس فيه إرضاء للشاميين.

يسأل الأستاذ حسين نجار:

- ما الذي دعاكم تغوصون في تلك الرحلة الطويلة الممتعة مع الأنساب؟

يجيب الأستاذ الزيدان على ذلك بقوله:

- سبب ذلك هو السيد إبراهيم نوري. لقد كنت بعيداً عن قراءة أسماء الصحابة، لكن يوماً ما كنت مع إبراهيم نوري بمكة المكرمة، وذُكرت سيرة مالك بن سنان، فقلت للأستاذ إبراهيم نوري: إن مالك بن سنان هو والد أبي سعيد الخدري، فما استساغ ذلك، وقال: لا باعتباره معروفاً بالعلم، فأخذني العناد واستعرت مؤلف "أسد الغابة" من الشيخ يحيى أمان، وغرقت بحثاً بين أوراقه ثم أتيت بالإصابة والاستيعاب وطبقات ابن سعد والأنساب، وهكذا كان الفضل للأستاذ إبراهيم نوري الذي أنكر علي معرفتي.

الأستاذ حسين نجار يعلق على ذلك قائلاً:

- إن الأستاذ عبد الفتاح أبا مدين يرى أنك لم تقف عند هذا الحد من العلم القديم عن الأنساب، بل اتسعت إلى أبعد من ذلك، فشمل علمك بالحديث منها.

وهنا يقاطع الأستاذ عزيز ضياء قائلاً:

- أنا عندي ملاحظة يا أستاذ زيدان هي ذاكرتك العجيبة جداً، والتي دائماً تبهرني، وما هو أدهش من ذلك ذكرك أسماء كثيرة ومعرفتك آباءهم، وأمهاتهم، وأقرباءهم وأخوالهم، وأعمامهم. إنه لشيءٌ عجيب جداً!

فيرد الأستاذ الزيدان:

- إن هذا يرجع إلى معاشرة الناس يا عزيز ومخالطتهم، والتلقي عنهم والحفظ، فيعترض الأستاذ محمد سعيد طيب قائلاً: هذا ليس جواباً مقنعاً، فيرد الأستاذ المحتفى به قائلاً: وماذا تعتقد إذن؟ هل تعتقد أنني أتولى الذهاب إلى منازل القوم وأسألهم؟

ويعود الأستاذ عزيز ضياء إلى إبداء ملاحظة أخرى فيقول:

- إن الأستاذ الزيدان عندما تذكر له "اسم فلانٍ ما"، فإنه يذكر لك على الفور اسم أبيه وأمه وجده وأصهاره ومواليه ومن له علاقة به.

ويسأل الأستاذ علي العمير:

- أترى أن علم الأنساب مما ينبغي أن يتحلى به مثقف العصر الحديث؟

فيرد الأستاذ عزيز ضياء قبل أن يستمع إلى رد المسؤول قائلاً:

- لا، لا.. ولا يحتاج إليه.

أما رد الأستاذ الزيدان فكان كالآتي:

- أنا لا أنصح به وإن كنت أحترفه، ولقد أنكرت على حمد الجاسر، وعبد الله بن خميس تعرضهما لقبائل العرب، لأن بعض القبائل قد تحولت أسماؤهم، ودخل بعض القبائل في البعض الآخر نتيجة الضغط الذي تعرضت له تلك القبائل من الأمويين والعباسيين، ولذلك ينبغي عدم البحث فيه.

فيسأل الأستاذ عزيز ضياء بقوله:

- لماذا؟

فيجيب الأستاذ الزيدان قائلاً:

- لأنه يجر إلى إثارة الحزازات وبعث الخلافات، والقبائل حساسة في أنسابها. وإذا رجعنا إلى قبيلة هيثم لوجدنا أنها تضم أشجع محارب، وفي هيثم أجمل النساء، ورجالها بنو رشيد الذين عمروا السودان.

- هناك ظاهرة غريبة في التاريخ خلاصتها أن المؤرخين يزعمون أن الذين قتلوا الخليفة عثمان - رضي الله عنه - هم المصريون، وأن الذين أثاروا الفتنة هم الكوفيون والبصريون، وهذا الزعم باطل لأن قائد الفتنه هو محمد بن أبي بكر، وهو ليس مصرياً. والذين جاءوا من مصر هم الفاتحون ما بين

غطفانيين، وتميميين، وغيرهم. ومن الكوفة كان حرقوس بن زهير، وغيره وكلهم تميميون، ومن هنا يتضح أن الذين تولوا وزر تلك الفتنة هم من العرب، وليس من سواهم. وإنما المغرضون هم الذين زوروا التاريخ حتى نكره الشام بسبب معركة الحرة، ونكره العراقيين، ونتهمهم بقتل الخليفة عثمان.

ويسأل الأستاذ علي العمير الأستاذ الزيدان قائلاً:

- إن علم الأنساب كان من أهم العلوم قبل قيام أبي موسى الخراساني بثورته ضد الأمويين أي قبل ظهور الشعوبية. فهل ترى أن علم الأنساب قد قضي عليه بسبب الشعوبية أم أن هناك سبباً آخر؟

يجيب الأستاذ الزيدان على ذلك بقوله:

- في رأيي أن عدم الاهتمام به لا يرجع إلى ظهور الشعوبية ولكن بسبب القسوة التي تعرض لها العرب من العباسيين.

ويسأل الأستاذ فهد العيسى قائلاً:

- هل التاريخ العربي مكتوب كتابة صحيحة؟ فيرد الأستاذ زيدان بقوله: التاريخ العربي مكتوب، ولكنه يحتاج إلى استنباط واستقراء، فمثلاً موقف أبي لهب، وقوله: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ أنا أرى أن لها خلفية غير ما يبرز في معناها المباشر، فحين يظهر للقارئ أنه سب لرسول الله ﷺ، فأنا أرى فيها التأييد لرسول الله ﷺ، لأن قريشاً سكتت ولم تتكلم، ولم تعترض واكتفت بكلمة أبي لهب عند رسول الله ﷺ وذلك من إرهاصات النبوة أيضاً.

- ولنأخذ مثلاً آخر: أبو سفيان، قائد الحرب، ما الذي دعاه إلى أن يخرج إلى خارج مكة ليقوم بمهمة التجسس؟ ولماذا قابله العباس ولم يقابله شخص آخر؟ إذن المسألة مرتبة ترتيباً دقيقاً وهذا استنباط لم يسبقني إليه أحد. والتاريخ إنما يكتب هكذا بالاستنباط.

ثم يطلب الأستاذ عزيز ضياء السماح له بالحديث تعقيباً على كلام الأستاذ محمد حسين زيدان فيقول بعد أن أعطي حق الكلام:

- لقد ألقيت ذات يوم كلمة في مجمع طلابي عنوانها "إن تاريخنا لم يكتب بعد"، وأعني بذلك أن المثقف العربي لن يجد الكتاب الحقيقي الذي يعطيه حقيقة هذا التاريخ، ليس بالاستنباط الذي تشير إليه، وليس برد الأفعال إلى مصادرها، وإنما لم يكتب إطلاقاً كما ينبغي أن تكتب تواريخ الشعوب والأمم. هناك موسوعات جديدة بعضها ذُكِر الآن، وهناك موسوعات كثيرة عن السيرة، وهناك غيرها، ولكن هذا التاريخ كعبرة وكأحداث مؤثرة في حياتنا، حتى اليوم، مع الأسف لم يكتب بعد، وهذه وجهة نظر قلتها وما زلت أقف عندها.

فيقول الأستاذ الزيدان:

- أنا أعرف رأيك هذا، لذلك أقول: إن فهم التاريخ يحتاج إلى استنباط واستقراء وغربلة.

ثم يوالي الأستاذ عزيز ضياء حديثه بقوله:

- أضيف إلى هذه المشكلة الكبرى التي تعانيها أجيالنا الآن، وهي أن تاريخنا لم يكتب بعد، والذي كتب لهم ليتعلموه هو سلبي جداً، فالمعلم يكتب الأحداث كما وجدها في مصادرها ويكتفي بهذا.

- وحبذا لو أن كاتب التاريخ في العالم العربي وفي المملكة العربية السعودية، بصفة خاصة، عندما يأتي ذكر الحجاج مثلاً أن يوضح في الهامش أن الحجاج هو من ثقيف، وثقيف قبيلة كانت تسكن الطائف، والطائف مدينة في مملكتنا الحبيبة وهي إحدى مصائفنا وهلم جرا. والملاحظ أن أبناءنا لا يهتمون بأهمية التاريخ للسلبية التي تكتنف كتابته، وكل هم الطلاب هو اجتياز الامتحان فحسب، وبعد ذلك يقذفون بالكتب على الأرفف.

ويعلق الأستاذ محمد حسين زيدان على ما جاء في كلام الأستاذ عزيز ضياء حول معرفة الكثير من أبناء العرب بأنسابهم بل تاريخهم الحقيقي، ويستشهد على ذلك بضرب عدد من الأمثلة، فيقول:

- من يعرف مثلاً أن جابر بن حيان أزدي؟! ومن يعرف أن الخليل بن أحمد أزدي أيضاً؟! إن الأمية أكلتنا، في التاريخ عبارة قرأتها، في كتاب قراءة للشيخ أبي الحسن الندوي، يقول: وعمر بن الخطاب شخص في الجاهلية كان لا يؤبه له، لأنه كان يحمل الحطب لأبيه. ولا أجد أن حمل الحطب يحط من قدر الإنسان ألم يكن موسى عليه السلام خادماً؟ يخدم شعيب عشر سنين، والنبي محمد ﷺ كان يرعى الغنم، وقد رددت عليه في محاضرة لي ذكرت ١٧ حديثاً في البخاري كلها تنص على مقولة: (ما زلنا في عزة منذ أسلم عمر). كما أن كتب التاريخ التي تدرس في المدارس أهمل مؤلفوها الإشارة إلى أمور كثيرة تهم العرب والمسلمين، ومنها معركة (ذي قار)، والتي جاء فيها الحديث الكبير الكريم الدال على قومية رسول الله ﷺ ونصه: (اليوم انتصف العرب من العجم وبي نصِروا) وهو حديث صحيح.

- و لست أدري لماذا لم يذكر هذا الحديث في هذا الكتاب؟

السيد علي فدعق يجيب، ويقول:

- لأن بعض الكتاب الإسلاميين يعتقدون أن كل رأي يدل على الانشقاق، ويؤدي إلى الانحطاط في العقلية العربية هو انتصار للإسلام وهزيمة للقوميين العرب.

ولندع هذا، ولنعد إلى سؤال الدكتور عبد الله مناع الذي سألك إياه، وهو:

ما هي ذكرياتك عن الصحافة لأنك كنت كاتباً؟

فيرد الأستاذ الزيدان، قائلاً:

- بداية عملي في الصحافة ترجع بي الذكريات القهقرى إلى يوم محبب إلى نفسي، كان ذلك بعد إتمامي مناسك الحج، وقبل أن أخلع ملابسي، إذ حضر السادة/ عبيد مدني، وعلي حافظ، وعثمان حافظ إلى سكني قائلين لي: لقد وقعت في قبضتنا، فقد استأذنا الملك عبد العزيز، وصدر إذنه بجريدة "المدينة"، وأنت أحد المحررين فيها، والقائمين بها وبأمرها، أنا وضياء الدين رجب، وعبد الحميد عنبر، ورئيس التحرير السيد أمين مدني، يعلم الله أنني أنا الذي قمت بأكثر جهد ولكني وجدت عقوفاً وهروباً فتركتها ولا داعي لذكر ذلك لأني صفحت وتركت، وأمين يعرف الحكاية كلها. كما يعرف حكاية الطبيب، وحكاية الستة آلاف ريال التي دفعت للأفندي محمد الداغستاني ليقيم قضية دفع بالمحكمة.

الأستاذ عزيز ضياء، يقول:

- هذه هي الطرائف التي نود أن توضحها.

يعلق معالي الشيخ عبد الله بلخير، بقوله:

- هذه ليست طرائف، بل هي حقائق.

يرد الأستاذ زيدان، قائلاً:

- من هذه الذكريات أن هناك طبيباً اسمه عادل محيش، سوري الجنسية، له علاقات طيبة مع كثير من أبناء المدينة، وكان يعاصره طبيب آخر اسمه فؤاد محروس وهو سوري أيضاً، لكنه ذو عقل، وأدب، وكمال، أكثر من الدكتور عادل. ولا علاقة لي بالاثنين، ولكن الأخ بكر الداغستاني ذهب إلى الدكتور فؤاد محروس فوجد الباب مغلقاً، فما أدخله لوجود مريض لديه، فجاء إلى السيد عثمان حافظ وقص عليه الحكاية، فكتب السيد عثمان مقالة نقّد فيها الدكتور هذا، فرددت عليه بمقالة قلت فيها: إن النظام عند الطبيب وأجر الطبيب فيها حصانة وصيانة، ولم أكن أعني بذلك عادل محيش، بل كنت أعني سعيد مصطفى، لأنه كان يعطي الفقراء، ويوزع بعض دخله هدايا، ومآدب، مثله في ذلك مثل إبراهيم ناجي وغيره، وقلت أيضاً: إن الطبيب الذي لا يأخذ أجراً يأخذ ما هو أكثر وأغلى منه. وفي الهدايا والمآدب أكبر دليل. ولما قرأ السيد مصطفى عطار - رحمة الله عليه - المقال، حذف منه كلمة الهدايا والمآدب، وترك الجملة التي تنتهي بعبارة يأخذ أغلى منه. مما أثار غضب بعض الأصدقاء، منهم أسعد طربزوني، وعثمان حافظ، وغيرهم، فكتبوا شكوى ضدي.

وهنا يسأل الأستاذ عزيز ضياء الزيدانَ، قائلاً:

- لماذا ثاروا عليك يا أستاذ؟

يجيب الأستاذ الزيدان بقوله:

- ظنوا أني قصدت بذلك الدكتور عادل محيش، فكتبوا شكوى للملك عبد العزيز، وكان عبد الله السديري أمير المدينة. ودفعوا ٦ آلاف ريال لمحمد داغستاني لمتابعة القضية.

ويطرح الأستاذ عزيز ضياء سؤالاً آخر قائلاً:

- أتقول إنهم كتبوا ضدك شكوى للملك عبد العزيز؟

يجيب الأستاذ الزيدان:

- نعم لقد أعدوها، وعزموا على رفعها له، إلا إذا ذهبت واعتذرت لكل من السيد السمان والأستاذ حمزة غوث. وقمت بتقبيل رأس كل منهما، لكنني لم أفعل. عندما رأوا إصراري على عدم تنفيذ ما أرادوا، دفعوا ٦ آلاف ريال للأفندي محمد الداغستاني (عبد العزيز) لكي يقيم علي قضية قذف في المحكمة، لكن الشيخ فاضل وبخهم على عملهم، وذكرهم "بالعيش والملح" الذي يربط بيننا، ومن باب الصدفة تأخرت ذلك اليوم في قهوة عبيد الله في باب العنبرية عن صلاة المغرب، فجئت إلى المسجد، والناس خارجون فإذا صالح إبراهيم القاضي - الله يرحمه - وهو رجل من كبار أهل عنيزة، ومن كبار أهل نجد، ورأيت خلفه أسعد طربزوني، وعثمان حافظ، وبقية الشلة، فقال لي: يا زيدان باشا، قلت له ماذا تقول؟ فأجابني: إن أهل المدينة لا يكتبون الشكاوى إلا في الباشوات، وأنت باشا. إني أقسم لئن لم يمزقوا هذه الشكوى لأركبن جوادي، وأذهب إلى الملك عبد العزيز الآن وأتحدث معه، ثم سرد على سمعي ما ائتمر عليه الإخوان، وقوى من عزيمتي، وثقتي بنفسي، وقال: لا تخف فلن يمسك شيء يؤذيك، وتمزقت الشكوى، وطلب مني السيد أحمد خضر أن أعتذر للسيد عبد الله السعد السديري. فكتبت اعتذاراً أوضحت فيه أنني ما كنت أقصد ما ذهب إليه الإخوان، لكني قصدت الهدايا والمآدب.

ويختم الأستاذ عزيز ضياء أسئلته بقوله:

- هل تعتقد أنهم عملوها دفاعاً عن الرجل؟

يجيب الأستاذ زيدان:

- بل عملوها دفاعاً عن العرض والكرامة.

بعدئذٍ يسأل أحد الحضور المحتفى به، قائلاً:

- ما هي ذكرياتك عن "البلاد" و "الندوة"؟

يجيب المحتفى به بقوله:

- عملي بجريدة "البلاد" يرجع الفضل فيه إلى السيد محمد عمر توفيق الذي طرح علي فكرة العمل كمدير لجريدة "البلاد" في الوقت الذي كان يتولى فيه وظيفة مدير مكتب "البلاد" بمكة، وكان عبد الله عمر خياط، وعبد الله الجفري يعملان في المكتب. فقبلت العمل وتقبلني حسن قزاز خير قبول، تعينت مديراً للبلاد، في ذلك الوقت، نشأت مشكلة جمال عبد الناصر مع المملكة، وما صاحبها من مشاكل جانبية ومن تلك المشاكل ما طلبه مني سمو الأمير طلال بن عبد العزيز، وهو أن تسحب وزارة المالية أسهم شركة النشر والطبع، ويعطيني إياها، فرفضت وقلت لسموه: أنتم تحاربون التأميم، فلم تؤمم حق الناس وتعطيني إياه؟ ولقد عانيت في تلك الفترة كثيراً حتى أراحني منها معالي الأخ عبد الله بلخير.

- وعاد الأستاذ حسن قزاز للجريدة مرة أخرى، وتوليت بعد ذلك رئاسة تحرير "الندوة"، ولكني تضايقت من الوضع هناك لأن السيد عبد الله عريف، أراد أن يكون رئيس تحرير غير متوج وأنا لا أطيق هذا، ويرجع سبب ذلك أنني كنت أكتب له ما ينشر من مقالات.

ويقاطع الأستاذ عزيز ضياء الأستاذ الزيدان، متسائلاً:

- هل كان عبد الله عريف رئيس تحرير؟

يجيب عليه الأستاذ الزيدان بقوله:

- بل كان مدير المؤسسة وأراد أن يفرض نفسه أيضاً كرئيس للتحرير، فرفضت ذلك لأنه يطلب مني أن أكتب عن أشخاص أرباب مصالح خاصة فعارضت ذلك وتركت المؤسسة مستقيلاً.

- ولقد علم الملك فيصل عن طريق الأصفهاني، أو غيره بذلك، فأمر بعزل عبد الله عريف من رئاسة المؤسسة.

- ومن ذكرياتي التي لا يمكن أن أنساها خلال عملي بالصحافة أنني كنت في إجازة لمدة ١٧ يوماً، وفوجئت بالأمير مشعل ذات يوم يطلب مني عدم مغادرة منزلي في الغد لأنني مطلوب للمحاكمة عند الشيخ ابن حميد، سألت سموه عن السبب فقال: المقال الذي كتبه المحرر، فأجبته: هذا مقال لست كاتبه، وما أدري عنه شيئاً، فأنا في إجازة، لكن سموه أكد علي طلبه بعدم مغادرة المنزل منذ عصر ذلك اليوم إلى اليوم الذي يليه، وخلال تلك الفترة. اتصل بي السيد حسن ألفي مدير الشرطة. ليتأكد من عدم مغادرتي المنزل أكثر من ١٨ مرة، وفي اليوم التالي ركبت سيارتي وتوجهت إلى مكة لمقابلة الشيخ ابن حميد - الله يرحمه - وكان رجلاً طيباً، ولقيت في مجلسه السيد علوي مالكي - رحمة الله عليه - فسألني الشيخ ابن حميد عن الإيمان وعن التوحيد، وذلك لأن الشيخ عبد العزيز بن باز قال: إن هذا ينكر البعث فحددوه، (ومعنى حددوه أي ضعوا الحديد في يديه ورجليه)، لكن الملك فيصل طلب منهم محاكمتي فقط.

- وكان المقال الذي حوكمت بسببه هو مقال للأستاذ فتحي الخولي، وأقسم بالله لم أجد فيه إنكاراً للبعث، ولقد استمع الشيخ عبد الله بن حميد وأيقن أن المقال ليس فيه إنكار لكن! أحد الناس أبلغ الشيخ ابن باز بتلك التهمة لأن الشيخ لا يقرأ، فقال: حددوه، وامتحنني الشيخ عبد الله بن حميد بقوله: ما الإيمان؟ وما التوحيد؟ فقلت له: الإيمان هو الإقرار باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. وأما التوحيد: فينقسم إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، واستمر النقاش على هذا المنوال، وعندما سمع السيد علوي مالكي قولي ورأى أن الموضوع لا يستحق هذا التهويش كله، قال للشيخ ابن حميد من باب النكتة: لقد قطع هذا حصير المسجد النبوي.

- وعندئذٍ اتصل الشيخ عبد الله بن حميد هاتفياً بالملك فيصل، وأبلغه بسلامة الأمور، وعدت سالماً غانماً.

يسأل الأستاذ عزيز ضياء قائلاً:

- عندما اقترح الشيخ ابن باز أن يضعوا الحديد في يديك ألا تعتقد أن هذا نوع من العقاب؟ وكيف يتم ذلك قبل أن يحاكموك، وقبل أن يسمعوا أقوالك؟

فيجيب الأستاذ الزيدان:

- نعم لقد كان نوعاً من العقاب لأنهم اعتقدوا أني أنكر البعث، ومنكر البعث يستحق العقاب، وعلى كل حال فقد حدث هذا في السابق، ولو علمت ما حدث للأستاذ أحمد قنديل لما أنكرت شيئاً.

ويعلق الأستاذ عزيز ضياء على ذلك بقوله:

- اسمح لي (كل عقاب لا بد أن يكون مبنياً على أساس نص من الشريعة أو من القانون).

فيرد الأستاذ الزيدان:

- نعم هذا ما عمله الملك فيصل.

ويجد الأستاذ مصطفى عطار فرصة للحديث فيوجه كلامه إلى الأستاذ الزيدان قائلاً:

- لقد حدثتنا عن الزيدان الصحفي، والعالِم، والباحث. ونريد أن تحدثنا عن الزيدان الموظف.

فيلبي الأستاذ الزيدان طلبه فيقول:

- إن أسوأ أيامي تلك الأيام التي عملت خلالها موظفاً. (ويكتفي بهذه العبارة).

فتثير عبارته الأستاذ مصطفى عطار فيسأل:

- ألم تكن لك مواقف؟

فيجيب الأستاذ الزيدان:

- لا أذكر أن لي مواقف في الوظيفة، ولكن أشعر بأن أحسن أيامي يوم كنت معلم صبيان، وأسوأ أيامي يوم كنت موظفاً.

وهنا يوجه الأستاذ عزيز ضياء للأستاذ الزيدان سؤالاً نصه:

- قل لي يا أستاذ زيدان أما زلت تملي ما يكتب وينشر لك؟

فيرد الأستاذ الزيدان عليه بقوله:

- نعم أنا أملي قبل أن أعشى والآن وقد صرت أعشى فإني لا زلت أملي.

وهنا أراد الأستاذ عزيز أن يستوثق من حسن اختيار الكاتب الذي يستعين به الأستاذ الزيدان فيقول: "والحديث موجه إلى الأستاذ الزيدان":

- إذن ينبغي لك أن تختار الكاتب الذي تستعين به على كتابة ما تملي عليه من يجيد الكتابة بدون أخطاء.

الأستاذ الزيدان:

- لقد وفقني الله في العثور على كاتب يكتب بلا أخطاء.

ويعلق الأستاذ عزيز على ذلك بقوله:

- يبدو لي أن هذا صحيح لأنني في الآونة الأخيرة لم أر أخطاء مطبعية أو إملائية فيما ينشر لك على عكس ما كنا نلاحظه سابقاً.

وتثير هذه العبارة الأستاذ الزيدان فيقول:

- الأخطاء المطبعية اسمح لي أنها من صنع بعض المصححين الذين يرون أنهم فقهاء يصححون، كما يشاءون، فعندما كتبت ذات مرة كلمة الرافعي "وهي مطلقة من زوجين" استحال في يد المصحح أن تصير مطلقة من زوجين، فكتبها من زوجها، وضيع لي بذلك جرس الرافعي. ومولانا أبو تراب هذا كتبت في جريدة "البلاد" أيام أزمة التيرول، فصححها البترول. وفي اليوم الثاني اتصل بي السيد فؤاد ناظر وقال لي: يا شيخ أي بترول؟ إنها أزمة التيرول، قلت له: يا شيخ هذا علم المصحح.

- وعلى ذكر أخطاء المصححين تدخل الأستاذ عزيز ضياء وقال:

- لقد كتبت في مقال لي كلمة "يشِي" من وشى فصححها المصحح بكلمة (يشير).

ويستأنف الأستاذ زيدان حديثه قائلاً:

- إن المصححين علماء وكفى.

- ثم يدور حوار جانبي بين الحضور لم يكد السامع أن يفهم منه شيئاً، ولم يعد الجميع إلى الجادة إلا صوت الأستاذ محمد سعيد طيب وهو يوجه سؤاله إلى الأستاذ الزيدان قائلاً. ما هو سبب اهتمامكم بالأنساب؟

فيجيب الأستاذ الزيدان:

- جاء هذا الاهتمام من الواقع الذي عشته فقد نشأت بدوياً، في بيت شعر، فالنشأة البدوية ربما أثرت في سلوكي ومعارفي وزيادة على ذلك فإن معاشرة كثير من الناس لها تأثير أيضاً. فمثلاً أستطيع أن أعرف الشخص من حديثه أو من ملامح وجهه.

وهنا يسأل الشيخ أحمد علي المبارك قائلاً:

- إن ما ذكرته عن الأنساب، وما تثيره في بعض الأحيان من حزازات، قد يكون فيه جانب من الصحة، لكن ألا ترى معي أن هذه الحزازات لا تساوي شيئاً بقدر الفوائد العظيمة التي حصلنا عليها هذه الليلة من ذكر هذه الأنساب، ومن هذه الفوائد التي كسبناها أنك تكلمت عن إفساد نظرية أن العراقيين مسؤولون عن الفتنة، وأثبت أن المصريين غير مسؤولين أيضاً عن الفتنة، وكانت ركيزتك في ذلك الأنساب، فلو لم يحفظ لنا التاريخ هذه المزايا لما استطعت الآن أن تدافع عن حقيقة تاريخية خالدة، ولذلك ينبغي أن تعطى الأنساب حقها، وأما هذه الهنات البسيطة التي تعترض فينبغي أن ينبه عليها من العارفين.

فيرد الزيدان بقوله:

- أنا معك فيما قلت يجب أن تدرس هذه أكاديمياً في قاعات الدرس، لكن لا ينبغي أن تنشر في الصحف.

غير أن الشيخ أحمد المبارك حاول أن يبرر تمسكه بضرورة معرفة علم الأنساب والتبحر فيه فيقول:

- إن القيام بهذا العمل هو من أجل الإثبات، ومن أجل ذلك يجب الرجوع إلى العارفين وأن ننشر ما كتبوا، كما يجب دراسة المؤلفات التي ألفت في هذا الصدد.

ويعزز الأستاذ زيدان رأيه في عدم اللجوء إلى الأنساب واتخاذها وسيلة للطعن فقال:

- لقد أنكرت على الشيخ علي الطنطاوي - الله يذكره بالخير - حين طعن في ابن حزم، لأنه حنفي، فكلمته وقلت له: لا يجوز أن توغر صدور الطلاب ضد عالم كي تناصر بذلك عالماً آخر، فتخلق حزازات في النفوس. لكن في الكليات المتخصصة التي لها علاقة بالموضوع مثل كلية العلوم وكلية الشريعة فلا مانع من دراسة ذلك: كمذهب ابن حزم، مذهب أبي حنيفة، ومذهب كذا وكذا... إلخ.

ويؤيد الأستاذ عبد الله بلخير ما ذهب إليه الأستاذ زيدان ويقول:

- إن التعصب للمذاهب لا يجوز، كما أن التعصب للإنسان لا يجوز أيضاً..

ويشارك الشيخ أبو تراب الظاهري في التعليق على الموضوع بقوله:

- إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أمر أبا بكر أن يكون مرشداً لحسان بن ثابت، لأن أبا بكر كان نسابة... أي عالماً بالأنساب وحتى لا يقع في مثلبة من المثالب فقد أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - حساناً، أن يطلع أبا بكر الصديق على ما ينظمه من الشعر حتى لا يقع في محظور، ومعرفة الأنساب واجبة حتى مع وجود هذه المحظورات، وما فيها من حزازات، وما قد تثيره من ضغائن.

ويضيف الأستاذ عبد الله بلخير إلى ما قاله الشيخ أبوتراب ما يلي:

- وعلم الأنساب ركن من أركان رواية الحديث كما تعرفون.

ويدلل الأستاذ محمد حسين زيدان على سعة أفقه ومعرفته بالأنساب ويعلن التحدي على ذلك بقوله:

- إني أتحدى الآن المثقفين في الآتي: يقولون إن حساناً هجا أبا سفيان، فينصرف تفكيرهم إلى أبي سفيان صخر بن حرب، بينا المراد به هو أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف...

وهنا يغتنم معالي الشيخ عبد الله بلخير الفرصة فيقول:

- وكيف نعرف ذلك إذا لم نفرق بينهم؟

يجيب الأستاذ زيدان على ذلك بقوله:

- عامة الناس لا يستطيعون معرفة ذلك لأنهم يجهلون أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ويعلق معالي الشيخ عبد الله بلخير على ذلك بقوله:

- علم الأنساب علم جليل، وواجب على المسلمين وعلى العرب تعلمه، وليس معنى هذا أن يكون في جميع فصول المراحل الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، ولكن لا بد أن يكون هناك لبعضنا دراية بعلم الأنساب.

ويقترح الأستاذ عزيز ضياء في سبيل توسيع مدارك الطلاب في معرفة التاريخ العربي والإسلامي فيقول:

- أرى أن على مدرسي التاريخ أن يعلموا التلاميذ ويشعروهم بكل ما له صلة بالحدث التاريخي من جميع جوانبه.

ولما عرف عن الأستاذ علي العمير من حبه الغوص في الأعماق لإخراج اللآلئ من بطون أصدافها، فقد اقترح قائلاً:

- أنا أقترح أن يتحدث الأستاذ عزيز ضياء عن معاصرته للأستاذ الزيدان.

- لكن الحضور فضلوا الاستماع إلى الأستاذ عمر أبي ريشة ينشد لهم شيئاً من شعره ويكون مسك الختام لتلك الأمسية.

واعتذر الشاعر الكبير عمر أبو ريشة في البداية قائلاً:

- أنا خالي الذهن تماماً، غير أن الجميع ألحّوا عليه مطالبين بقصيدة أو اثنتين، وأمام إصرارهم شدا عمر أبو ريشة بأربع مقطوعات من أروع ما قال من الشعر أولاها هذه المقطوعة:

رب ضـــــــــاقت ملاءـــــــــبي في الـــــــــدروب المقـــــــــيده
أنـــــا عمـــــر مخضـــــب وأمـــــــــان مشـــــــــردة
ونشـــــــــيد خـــــــــنقت في كبريائـــــــــي تـــــــــنهده
رب مـــــا زلـــــت ضـــــارباً مـــــن زمـــــاني تمـــــرده
بســـــــــماتي ســـــــــخية وجراحـــــــــي مضـــــــــمده

وكانت المقطوعة الثانية هي:

تتســـــاءلين عـــــلام يحـــــيى هـــــؤلاء الأشـــــقياء
المتعـــــبون ودربهـــــم قفـــــر ومـــــرماهم هـــــباء
الواجمـــــون الذاهلـــــون أمـــــام نعـــــش الكـــــبرياء
الصـــابرون علـــى الجـــراح المطـــرقون علـــى الحـــياء
أنســـتهم الأيـــام مـــا تـــرف الحـــياة ومـــا الهـــناء
أزرت بدنـــــياهم ولم تتـــــرك لهـــــم مـــــنها رجـــــاء
تتســـاءلين وكـــيف أدري مـــا يـــرونَ علـــى الـــبقاء
امضـــي لشـــأنك، اســـكتي أنـــا واحـــد مـــن هـــؤلاء

وتشتعل الأكف بالتصفيق، ويعلق الأستاذ عبد الله مناع بعد سماع المقطوعتين بقوله:

- إذا كانت هذه هي الحلوى فإننا نود أن تستمر الجلسة حلوى على طول.

وأما المقطوعة الثالثة فقد ذكر الشاعر سبب نظمها قبل أن يشدو بها فقال:

- كنت في طريقي إلى تشيلي، وكانت إلى جانبي فتاة من أجمل الفتيات. فأخذنا نتحدث وكانت تبرز في كل موضوع. فسألتها من تكونين أيتها الآنسة؟ فأجابتني باللغة الإسبانية بقولها: الدم العربي يجري في عروقي. فأطرقت فظنتني احتقرتها. وأخذت تحدثني عن أجدادها العرب وماذا تركوا في الميدان الحضاري في العالم. كانت الطيارة على مقربة من العاصمة، وكنت أول سفير سوري يزور تلك العاصمة، ومدعواً في الوقت نفسه إلى إلقاء محاضرات فاستغربت وجود العالم الزاحف في الميدان لاستقبال هذا الشخص الذي كان قاعداً جنبها. فأرادت أن تعرف من هو، وألحت على ذلك حتى عرفت، وبقيت مع المستقبلين ثم تعرفت عليها. وفي تلك الليلة كتبت هذه القطعة:

وثـــبت تســـتقرب الـــنجم مجـــالا ... وتهـــادت تســـحب الـــذيل اختـــيالا

وحـــــيالي غـــــادة تلعـــــب في ... شـــــعرها المـــــائج غـــــنجاً ودلالا

طلعـــة ريـــا، وشـــيء باهـــر ... أجمـــالٌ؟ جـــل أن يســـمى جمـــالا

فتبســـمت لهـــا، فابتســـمت ... وأجالـــت في ألحاظـــاً كســـالى

وتجاذبـــنا الأحاديـــث فمـــا انخفضـــت حِســـاً ولا ســـفت خـــيالا

كـــل حـــرف زل عـــن مرشـــفها ... نثـــر الطـــيب يميـــناً وشمـــالا

قلـــت يـــا حســـناء، مـــن أنـــتِ؟ ومـــن ... أي دوح أفـــرع الغصـــن وطـــالا؟

فأجابـــت أنـــا مـــن أنـــدلس ... جـــنة الدنـــيا عـــبيراً وظـــلالا

وجـــدودي ألمـــح الدهـــر علـــى ... ذكـــرهم يطـــوي جناحـــيه جـــلالا

حملـــوا الشـــرق ســـناء وســـنى ... وتخطـــو ملعـــب الغـــرب نضـــالا

فـــنما المجـــد علـــى آثـــارهم ... وتحـــدى بعـــدما زالـــوا الـــزوالا

هـــؤلاء الصـــيد قومـــي فانتســـب ... إن تجـــد أكـــرم مـــن قومـــي رجـــالا

أطـــرق الطـــرف وغامـــت أعـــيني ... بـــرؤاها وتجاهلـــت الســـؤالا

ثم ألقى الشاعر المبدع قصيدته الرابعة والأخيرة، فقال:

قالـت مللـتك. اذهـب. لسـت نادمةً ... علـى فـراقك إن الحـب لـيس لـنا
سقيتك المـر مـن كأسـي. شفيـت بهـا ... حقدي عليك... ومالي عـن شفـاك غنى!
حسـبت دنـيا نعيمـي فـيك ماثلـة ... فخـاب ظـني فألقـيت النعـيم ضـنى
لـن أشـتهي بعـد هـذا الـيوم أمنـية ... لقـد حملـت إلـيها الـنعش والكفـنا
قالـت.. وقالـت.. ولم أهمـس بمسـمعها ... مـا ثار مـن غصصي الحـرى ومـا سكنا
تـركت حجـرتها... والـدفءَ منسـرحاً ... والعطـر منسـكباً... والعمـر مـرتهنا
وسرت في وحشـتي... والليـل ملتحـف ... بالزمهرير. ومـا فـي الأفـق ومـض سنا
ولم أكـد أجتلـي دربي علـى حـدس ... وأسـتلين علـيه المـركب الخشـنا
حـتى سمعـت... ورائـي رجـع زفـرتها ... حـتى لمسـت حـيالي قـدها اللّـدِنا
نسـيت مـا بي وهـزتني فُجاءتهـا ... وفجـرت مـن حـناني كـل مـا كمـنا
وصـحت... يـا فتـنتي: مـا تفعلـين هـنا؟
الـبرد يـؤذيك عـودي... لـن أعـود أنا!

ويعلق الجمهور على القصيدة بالتصفيق الحاد، في حين يعلق الشاعر عمر أبو ريشة على أسلوبه في الشعر، واعتماده على أن يختتم القصيدة ببيت يكون فيه المضمون العام للقصيدة، وينصرف السامرون وألسنتهم تلهج بالشكر وقلوبهم ترقص طرباً.

***